# الحلم ...

قصة بقلم حيان

الى : Didia Zambik

في الخامسة يهبط ليل الشتاء مبكرا . وقبل ساعة رغب الرجل في شرب القهوة هربا من آثار حلمه ونومه . في مدينته ، كانت احلامه فتية ، فشعر بالرضى وعرف انه مدعو الى عمل شيء ما ، وهنا لم تعد احلامه شابة ، وغالبا ما يشعر بالحزن في العودة الى صمت حجرته.

كان وحيدا يسير على رصيف شـــارع الانصار اليوغسلافيين . البرد في وجهه واذنيه وامامه في البعيد ، هلال جدران عمارات فـي طرف من ساحة الثورة ، واشجار عارية وعابرون .

وتذكر الرجل ما كانت تردده المراة البعيدة غالبا :

ـ هيه ... انت مع نفسك اكثر مما انت معي !

لقد اعتاد ، منذ زمن بعيد ، تاليف القصص صامتا ، خالقا كالاله شخوصه ، شاعرا بالطمانينة وعدم الوحدة معهم . وفي مدينته عـاش آخر مرة ، مواجها تسعة وجوه ، في غرفة عارية موصدة الباب ، وقـد سود غطاء مصباحها الوحيد المدلى ، براز الـذباب . وفي المكتبة التي يعمل فيها الآن ، كثيرا ما مزقت صمتها المراة البعيـــدة متلفنة له . كانت احيانا تسقط يدها على جسده :

ـ هيه ... اين كنت ؟

حدث معها ذلك في الترام والمقاهي والحانات وعبر الشوارع وفي حجرته . فشعر انه مدعو منها . واستمرا فرح وجودها معه .

اما الآن فقد ود لو يتجرد من آثار حلمه . وتساءل ، هل يستطيع ذلك ؟ فتوقف عن التفكير ، ثم تمتم باغنية ، وعاد وفكر بانه محاصر.

قبل ساعتين تطلع الى الارض من على سطح القمر . وبدت بعيدة وكانه معلق فوقها . وفكر بالعودة ، ثم خاف أن يحترق باجتيـــازه وحيدا ، حاجز الخواء . لقد سافر اليـــه مع آخرين متطوعا ، ممتلئا بالرغبة ، وفي الطريق الى القمر فكر بالمراة البعيدة . وبعد وصـوله أراد العودة بعد شعوره بالتعب ، فتحدث مع آخرين عن الرجـــوع ، فانصرفوا عنـه صامتين يعمـــلون ، وقد اصابه الغضب . وتذكـر ما قاله :

الا تريدون أن نعود ؟

فبدت وجوههم وكانها مضغوطة بالزجاج ، وانتابه الخوف .

ـ هيه ... أنتم ... هيا نعود .

ولم يجبه أحد . ونظر الى الارض البعيدة كمن يشرف من قمـة صخرية سامقة الى واد تحته فاصابه الدوار . كانت رجلاه ترتجفان ، نازفا العرق من جسده ، خائفا من انزلاق قدمه وسقوطه الى الاعماق. وقد انتابه الرعب فصرخ بشدة :

ـ ترجع ...

واستفاق متعبا . ربما صرخ اكثر من مرة ، لا يدري .

كان مشتت الذهن ، وبعد أن دخن سيجارة استعاد الحلم ، وعجب من تفكيره بالمراة البعيدة . كانت تنظر اليه فتبدو مفكرة ، غريبة الوان عينيه . ومنذ شهور حدثته ، متحمسة ، عن مدينتها فزارها ، وحدثها عن بغداد ، منصتة اليه ، فلم تعـــرفها . وأدرك الرجل ، لا بد وان يفكر لمن يعود . وفي الشارع فكر ، لا بد مـن شيء في حياته يعـود اليه . في ساحة الثورة تطلع الى واجهة مطعم كيبف ولم يعد يـرغب فـــي شرب القهوة . ومن على رصيف محطـــة الترام ، بادل امراة النظرات ، وقد سقط وجهه عنـــد انفها . كان له وجه رجل يشيخ ببطء . وعندما استدارت عنه ، أظلم ضوء عينيه وحاجباه الكثيفان ، وزرعت في أعماق عينيها باحة الثلج الواسعة الى يسار المحطة . وفكر الرجل ، لم يبق له الا أن يشعر بالحزن من جراء الاحلام ، وليس من عادته أن يجرد الاشياء من الفتها ، ولم يحاول أن يغوص عميقا لمعرفة ما يشعر به . وحدث نفسه ... كنت تمس سطوحا ما في الدنيا أمام عينيك ، كما لو انكتمسح باصبعك زجاجا تراكم عليه التراب ، وتعود متاملا . وتشعر انك محاصر الآن !

وهو يذكر غضبه عندما أوشك أن يضرب الذين على القمر لصمتهم، وفي حجرته فكر بطفولة شعوره ، هل كان غاضبا أم خائفا ، وعاد الى نفسه يسأل ، ثم فكر انهما وجهان لعملة واحدة ، ان لا تخسر !

وحدث نفسه ، في مدينتك كنت تغضب . فكم مرة فعلت ذلك ؟ وكانت أمك تغضب ، واخوتك ، والناس في مدينتك ، فيكسرون مـا تحت أيديهم ، حينا حتى رؤوس الآخرين ، ويعودون يتحدثون بعـــد ذلك ، وقد تناسوا خسارتهم فيبدون كالاطفـال . وقال لنفســـه ، ومع ذلك تريد أن تعود الى مدينتك !

ومن طرف عينيه ، لاحظ وصـــول الترام الى المحطة ووقوفه ، فاسرع نحوه ، وفي الداخل شعر بالدفء . وعبرته بيوت وشـوارع ، وشجرة كستناء عارية ، سوداء ، جوار مخبز مستشفى للجنود فـي ديفتسه . وفي ساحة حانة أوفليكو ، شجرة كستناء عاريـــة سوداء ، وعلى زجاج نوافذ الصالة ، كان ضوء المصابيـــح ودخان السجائر . الى يمينه جمع ، وأمامه على كراسي طاولة أخرى جمع آخر أخذ يغني الحان اليولكا . ورآهم الرجل ينشدون ذراعا لآخر ، وراحت القاعة تتحرك . ثم ضجت الاغنية وانقطعت مرة واحدة ، فساد الضحك ورنين الاقداح . وتحت أغطية المصابيح ، ظل الضوء عكرا .

قال بالانكليزية الى فتاة جواره :

ـ هل تحبين البيرة السوداء ؟

ونفضت كتفيها ، فسالها من جديد :

ـ أنت انكليزية ؟..

ونفت ذلك بحركة من راسها .

وحدث الرجل نفسه ... لا أريد أن اكون الآن صامتا ، وحينما تصيبك نوبات من الخوف ، تود القيام بعمل ما ، وتفكر بالخروج مـن مكتبتك أو حجرتك لاستنشاق الهواء ، أو شرب القهوة ، أو الذهـــاب الى السينما ، أو أن تعرق مع جسد امراة ، وقد تفكر بدخول مكـــان مزدحم بالناس والضوء ، فتشم رائحـــة الاجساد ودخان السجائر ، وكنت تفكر في البحث عن الفة ، مثل التي اعتدتها في مدينتك ، كم مرة ود أن يبعد نفسه عن الصمت ، وخيل اليه انه متعب ، ونظـــر الى الفتاة وسألها :

ـ هل هي سفرتك الاولى الى براغ ؟

فوافقت برأسها . قال :

ـ وتحبين زيارة الاماكن القديمة .

فنظرت اليه ، لاول مرة .

ـ وتحبين السفر كثيرا ؟

قالت في صوت ذي بحة :

ـ أود أن أسافر حول العالم .

ـ كل العالم ؟
ـ اذا استطعت ذلك .
ـ وان تزوري القمر أيضا ؟
ـ ماذا ؟
ـ ان تزوري القمر ؟..

واستكشفت الفتاة عينيه ، وفكر الرجل بالحلم الذي رآه . لقد تضايق منه ورأى فيه طفولة ، لا يصلح له أن يحزن من جرائه ، ومضى مفكرا .. ما تعرفه وما لا تعرفه اليست طفولة بعد زمن ما .. وقال لنفسه ، لا أدري . وسألته الفتاة الى جواره :

ـ ماذا قلت ؟
ـ لا شيء . لنشرب نخب زيارتك للعالم .

ورافقها وقد تاخرت قليلا عن الشرب معه ، فعرف عدم اطمئنانها اليه ، وود لو يضحك . وسألته :

ـ هل تعيش هنا ، أو تدرس ؟

قال لنفسه ، بدات تحقيقها . وقال لها :

ـ كلا .. سائح مثلك .

فابتسمت الفتاة لاول مرة وقد خفقت اهدابها ، ثم اخفضت عينيها نحو اصابعه ، وفكرت انه يكذب . وانتاب الرجل شعور غريب بعد أن ساد الصمت بينهما ، فهو لم يخطط شيئا لنفسه الآن ، سوى الرغبة أن تواصل الفتاة كلامها ، دون أن يقوم بلعبة سرقة الاهتمام ، ربما لانه يشيخ منذ زمن بعيد ، ولا يريد أن يضفي ، على ما يشعر به ، ستارا من المأساوية . وفكر في نفسه : هو قادر ان ياكل بشوكة وسكين دون أن يخرج صوتا من صحنه أو فمه . وقد وهب جسده لنساء عرفهن دون أن يغلق عينيه . ويقرأ ما يصرح به دايان ، وادولف فون ثادن . وقرأ ما كتبه ريموند وليامز ، وهمنغواي في عجوز عند الجسر . ومضى يفكر ، ما الذي شد العجوز الى بيته ، الطيور ، العنزات ، القطة أو ماذا ؟ لا أدري ماذا !

وقال للفتاة الى جواره :

ـ هل تشبه مدينتك ، مدينة براغ ؟..

فتحدثت في نبرات هادئة .

وفكر الرجل بسرعة ببرودة سؤاله ، فقاطعها قائلا :

ـ هل سكرت مرة ؟

قالت : ـ من .. انا .. أوه !..

وتوترت رقبتها برهة ، وهي تنظر اليه ، فشعر الرجل انه وسط اللعبة دون رغبته .

ـ لا شيء يخيف في السكر ، سوى الدوار من رقصة الجدران . لا أعرف . ربما يموت منه الانسان .

قال : ـ أوه ... قد يحدث ذلك من جراء حادث ، أو مرض ، أو من حزن شديد .

وتطلعت اليه ، ثم نظرت الى أصابع يديه ، وحدست انه مثل باقي الرجال تماما ، وقد أبقت نظراتها عند أصابعه وكأسه عندما سألها :

ـ هل تعرفين بغداد ؟
ـ بغداد ؟.. أوه .. أود أن ازورها .
ـ وأنا كذلك .

وضحكت . وقرعا كأسيهما وشربا معا . وسألته :

ـ أتحب أن تزورها ؟
ـ من ؟
ـ بغداد .
ـ طبعا !
ـ وهل تحب السفر ؟

ثم سألته عن السبب فقال :

ـ أحب أشياء قليلة .
ـ مثل ماذا ؟
ـ أن لا تسحن بيرتي بسرعة ، وأن أزور مدينة أو مدينتين .
ـ أحب السفر كثيرا .
ـ ولا بد من الرجوع الى مدينتك .
ـ طبعا . ثم السفر من جديد .

وأرخت راحتيها على الطاولة ، وكورتهما حول كأسها ، وقد صمتت . كان الرجل يفكر ، فقد أحب السفر أيضا ، لكن شعورا بالتعب داهمه منذ وقت بعيد ، من ماذا ؟ لا يدري !.. من التيهان .. أو من عتمة الحجرة قبل دخولها ؟.. لكنك تضيء مصابيحها جميعا ، وتبقيها حتى تنام . ومع الضوء تبحث عن الفة في حجرتك ، لماذا ؟.. لا أدري !

وسألته الفتاة :

ـ ماذا قلت ؟..
ـ مسكين الشاب الذي يحبك .

وضحكت متسائلة : « لماذا مسكين » ؟

ـ ستتركينه في مدينتك .

قالت : ـ يستطيع أن يرافقني ، أو أن ينتظر .

ـ وان لم ينتظر ؟

ونظرت اليه . وغطت وجنتيها دفقة دم . وقالت :

ـ هذا شأنه .
ـ وأنت ؟
ـ لا أعلم .

وارتعش كتفاها . كانت تنظر بثبات ، نظرة فتاة عاشت غريبة ، فترة طويلة . وقال الرجل لنفسه ، بدأت تفكر . وعادت الفتاة تقول :

ـ انك شيطان .

ودفعت خصلة من شعرها الاسود ، خلف اذنها اليمنى الصغيرة ، في حين ضحك الرجل بقوة قائلا لنفسه بالعربية ، ملعونة . وشرب جرعة بيرة . واستدارت الفتاة تحدث جارة لها ، فنظرت الثانية نحوه مبتسمة ، ثم عاد اليه وجه الاولى . قالت :

ـ وماذا عن فتاتك ؟

ولم يجب . كان شعوره بالتعب شديد ، حينما فكر بالحلم في حجرته .

وقدم للفتاة سيجارة تناولتها . وقدم لجارتها ثم أطفأ عود الثقاب.


## دراسات ادبية

### من منشورات دار الآداب

- من أدبنا المعاصر
  **للدكتور طه حسين**
- قضايا جديدة في أدبنا الحديث
  **للدكتور محمد مندور**
- مشكلة الحب
  **للدكتور زكريا ابراهيم**
- تجديد رسالة الغفران
  **لخليل هنداوي**
- دراسات في الادب الجزائري
  **لابو القاسم سعد الله**
- بابا همنغواي
  **لهوتشنر**
- الادب المسؤول
  **رئيف خوري**

# مواقف

**١ ـ حديث الرماد**

أصحيح يا أمي
يا جسد الطين المحروق بأعوام الخيبه
يا شيخا مات على ظهر حصان
يا خابية الزيت المثقوبه
أصحيح.. يا قمرا تتجمد فيه الالوان
ماتت حلمات الاثداء بأيدينا
فأتينـا
جيلا تهواه النكبه

***

**٢ ـ حزيران لحزيران**

على ساقيك أمتد
فتضحك لي وتحضنني
كأنك حاضر الزمن
وتفرزني الى صدرك
سؤالا ساخن الدمعه
ـ أتولد من هنا .. من جرحنا
الشمعه

***

**٣ ـ الطفوله**

تأخذني فوق الالوان
لا أفهم غير الاحلام ـ
ورغيف يضحك بالمجان
تأخذني .. تزرع في كوني
ورقات الريحان
أشجار الزيتون البريه

***

**٤ ـ المرأة**

أحلى من كـل الاشياء
دفقة ضوء .. حفنة ماء
جسر يعبر ظهر الازمان
ـ يصل الضفة بالضفه
. . . . . .
. . . . . .

**٥ ـ صوت**

وتخطى ...
يحمل البدء هديه
وبعينيه مرايا .. وحكايا
ربما تأتي .. ولا
.. عن اله وصبيه
تتعرى الارض في عرسهما
ـ ويكون الكون ضوءا وبكاره ـ

***

« حين تجف الاحلام
وننـام ..
نسأل بعد اليقظه
عن .. ما طعم العوده »

**كريم الشيباني**

---

قالت الفتاة الثانية ، بالانكليزية :
ـ هل أنت من بغداد ؟
ـ أجل .
وسأل الاولى :
ـ هل تنسين صديقك ؟
أجابت تقول : ـ عندما أعود أحدثه عن السفرة .
وفكر الرجل .. لقد سألته عن فتاته ، فلم يجب ، فهل نملـك هي ، فتاها ؟!..
والمرأة البعيدة ، هل تملكها ؟.. أشياء كثيرة أحببتها في حياتك ، فلم تملكها ، ولن تملكها .. وقال للفتاة الى جواره :
ـ واذا أحببت رجلا في مدينة ما ؟
ـ لم يحدث لي ذلك !
ـ وان حدث ؟..
ـ انه صعب جدا .. لكني سأحبه .
ـ وصديقك ؟
ـ مرة أخرى احتقنت وجنتاها الصافيتان ، وقالت :
ـ اذا عدت الى مدينتي ، أحبه أيضا .
وقال لنفسه ، لا زلت طفلا .. وقال لها :
ـ مسكين صديقك .
ونظرت اليه ، فقالت :
ـ كثيرا ما تستخدم هذه الكلمة ، لماذا مسكين ؟
وفكر بعدم وجود سبب لديه . كانت تنظر نحوه ، فقال :
ـ ربما ... لانك جميلة .
وعاد يقول :
ـ لنشرب .
وشربا معا .
وانحسرت البيرة عن قعر قدحه ، مخلفة بضع فقاعات ، وأضواء قاعة ، ووجوها مضغوطة بالزجاج ، مثل التي رآها في الحلم .

براغ

**جيان**